

التذكير بالموت، وآداب التعزية

الشيخ عبد العزيز آل الشيخ 1431-6-14

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا؛ وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ؛ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ؛ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ، وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فِي أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى حَقَّ التَّقْوَى.

عباد الله، خلق الله الموت والحياة ابتلاءً وامتحاناً للعباد؛ ليتبين المخلص لله، المتبوع لشرعه ممن ليس كذلك (تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) [الملك:1-2]، وخلق الخلق لعبادته (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)، جعل الله الدنيا دار ممر وفناء، وعمل واجتهاد وجعل الدار الآخرة دار مقام وبقاء وجزاء وأجر عظيم، وقد بين جَلَّ وَعَلَا حقيقة الدنيا، وأنها متاع زائل؛ فقال: (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَزِينَتُهُ وَتَفَاخُرُ بَيْنَكُمْ وَتَكَاتُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) [الحديد:20]، وقال: (وَمَا أوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ) [القصاص:60]، فعلى المسلم أن يتزود من حياته لآخرته بالأعمال الصالحة (وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى) [البقرة:197]، وأخبر صلى الله عليه وسلم عن حقارة الدنيا، فقال: "لو كانت الدنيا تزر عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرًا شربة ماء"، وحذر من التعلق بها، وطول الأمل، فقال: "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل"، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: (إذا أمسيت، فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك).

أَيُّهَا الْمُسْلِمُ، إِنَّ الذَّمَّ لِلدُّنْيَا لَيْسَ مُوجَّهًا لِذَاتِهَا، لَيْسَ مُوجَّهًا لِذَاتِ الزَّمَنِ نَفْسِهِ، لَيْسَ الذَّمُّ لِلدُّنْيَا لَيْسَ مُوجَّهًا إِلَى زَمَنِ، وَلَا مُوجَّهًا إِلَى الْأَرْضِ، وَالَّتِي نَسَكْنُهَا، وَلَا إِلَى مَا أودع الله فيها من خيرات، قال تعالى: (تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا) [الفرقان:61-62]، وقال في الأرض: (وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ) [البقرة:36]، وقال في حقيقة ما يخرج من الأرض، وما أودع الله فيها من الخيرات: (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ) [الأعراف:32]، وإنما الذَّمُّ المقصود بقوله: "الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها"، المعاصي والمخالفات لشرع الله الواقعة من العباد في الدنيا، فالذَّمُّ موجه لها.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُ، كُلُّ فَرْدٍ مِنَّا، فَلَهُ أَجَلٌ مَكْتُوبٌ، أَيَّامٌ وَشَهُورٌ وَسِنُونَ يَعْلَمُهَا مَنْ قَدَّرَهَا وَكَوَّنَهَا، فَإِذَا انْقَضَى أَجَلُ الْعَبْدِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، إِذَا انْقَضَتْ أَيَّامُهُ وَشَهُورُهُ وَسِنُونُهُ جَاءَهُ الْمَوْتُ وَلَا بُدَّ مِنْهُ، فَهُوَ سَنَةُ اللَّهِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ (كُلُّ نَفْسٍ دَانِقَةٌ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُؤَقِّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) [آل عمران:185]، (وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ * كُلُّ نَفْسٍ دَانِقَةٌ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالنَّارِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) [الأنبياء:35]، والبقاء لله وحده (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) [الرحمن:26-27].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُ، ليس للموتِ سَبِيْلٌ معلومٌ، ولا زمنٌ معلومٌ، ولا مرضٌ معلومٌ، ولكن إذا انتهى الأجلُ؛ فإنَّ الموتَ آتٍ ولا بُدَّ منه، واللهُ جَلَّ وَعَلَا أخبرنا أنَّ الموتَ لا يُبْقِي أَحَدًا ولا يَتَأَخَّرُ عن زمنه ووقته، قال تعالى: (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ) [الأعراف:34]، وقال: (وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) [المنافقون:11]، فاستجيبوا لأمرِ الله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) [الحشر:18]، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)، ويقولُ صلى الله عليه وسلم: "إِغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: إِغْتَنِمْ حَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ، وَإِغْتَنِمْ شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ مَرَضِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفِرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ"، فإذا عَلِمَ الْمُسْلِمُ ذلك، كان قصيرَ الأملِ، مُغْتَنِمًا أوقاته في الخيرِ، ذا هِمَّةٍ عاليةٍ فيما يُقَرِّبُهُ إلى الله، ويبعده من عذابه.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُ، جاءَ في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم أَمَرَ الْمُسْلِمَ أَنْ يَسْتَعِيذَ دُبْرَ كُلِّ صَلَاةٍ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ" فما هي فتنَةُ الموتِ؟ للموتِ فتنَةٌ، وما أعظمها من فتنَةٍ! فتنَةُ ابتلاءٍ وامتحان، حينما يَدْنُو أَجْلُ الْعَبْدِ، ويدنو رحيله من هذه الدنيا، يَجْلِبُ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ بِخَيْلِهِ وَرَجَلِهِ؛ لَعَلَّهُ أَنْ يَصُدَّهُ عَن كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ "لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ"، لَعَلَّهُ أَنْ يَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَنْ يَنْطِقَ بِهَا؛ فَيَلْقَى اللَّهَ وَهُوَ مِنَ الْمُؤَحِّدِينَ، وفي تلكِ الحَالَاتِ الْعَصِيبَةِ وَالهُوْلِ الْكَبِيرِ الْعَبْدُ عَلَى خَطَرٍ إِنْ لَمْ يَتَدَارَكْهُ اللهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ، وَلَكِنْ سُنَّه اللهُ الَّتِي أَجْرَاهَا مِنْ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ الصَّادِقَ فِي إِيمَانِهِ، الَّذِي كَانَ مُخْلِصًا لِلَّهِ فِي أَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ، فِي ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ، مُسْتَقِيمًا عَلَى شَرَعِ اللَّهِ، مُحَافِظًا عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ، مُلَازِمًا لِلْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ، عَلَى أَحْسَنِ حَالٍ أَنَّ اللَّهَ يُنَبِّئُهُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ الْحَرَجَةَ، وَيُعِينُهُ وَيُسَدِّدُهُ؛ فَيَجْعَلُ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ آخِرَ مَا يَقُولُ؛ فَيَخْتِمُ لَهُ بِخَاتَمَةِ حَمِيدَةٍ، يَمْدُهُ اللهُ بِمَلَائِكَةٍ مُقَرَّبِينَ يُبَيِّنُونَ، وَيُقَوِّونَ إِيمَانَهُ، وَيَقِينَهُ؛ فَلا يَظْفُرُ عَدُوُّ اللهِ مِنْهُ بِشَيْءٍ، جاءَ في حديثِ النَّبِيِّ: "إِذَا كَانَ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ فِي إِدْبَارِ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالِ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَتْ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وَجُوهُهُمْ الشَّمْسُ؛ فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ بَصَرِهِ، ثُمَّ يَأْتِي مَلَكُ الْمَوْتِ؛ فيقولُ: يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، أَخْرِجِي إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ مِنْهُ وَفَضْلِهِ؛ فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنَ (..) فِي السَّقَاءِ، وَمَعَهُمْ كَفُّونٌ مِنْ كَفَنِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ؛ فَإِذَا قَبِضَ رُوحَهُ، لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَضَعُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَذَلِكَ الْحَنُوطُ؛ فَيَخْرُجُ مِنْهُ كَأَطْيَبِ نَفْحَةٍ مِسْكِ وَجَدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ"، يَمْدُهُ اللهُ بِمَلَائِكَتِهِ (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشَرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ* نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ* نَزَلًا مِنْ غُورٍ رَحِيمٍ) [فصلت:30-32]، فَيَشْتاقُ الْعَبْدُ لِلِقَاءِ اللَّهِ، وَيَتَمَنَّى لِقَاءَ اللَّهِ؛ فَيُجِيبُ اللهُ لِقَاءَهُ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُ، سَاعَةُ الْمَوْتِ عَصِيبَةٌ، وَهُوْلُهُ شَدِيدٌ، وَأَلَمُهُ عَظِيمٌ، وَرُوحُ طَالِمًا... بِهِ عَمَرَتْ الْجَسَدَ، تُنَزَّرُ مِنْهُ فِي لَحْظَةٍ مِنَ اللَّحْظَاتِ، فَمَا أَعْظَمَ الْهُوْلَ! وَمَا أَشَدَّهُ! وَلِذَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْمَلُ الْخَلْقِ، سَيِّدُ وَوَلَدُ آدَمَ عَانَى مِنْ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ مَا عَانَى، وَلَقِيَ مِنْ كُرْبَاتِهِ مَا لَاقَى، زِيَادَةً فِي حَسَنَاتِهِ، وَرَفْعَةً لِدَرَجَاتِهِ، تَقُولُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: "مَاتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ حَاقِنْتِي وَذَاقِنْتِي"، وَقَالَتْ: كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ مِنْ مَاءٍ، يَضَعُ فِيهَا يَدَيْهِ، ثُمَّ يَمْسُحُ بِهَا وَجْهَهُ وَيَقُولُ: "لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، اللهُ أَكْبَرُ إِنَّ لِلْمَوْتِ لَسَكَرَاتٍ"، وَقَالَتْ أَيْضًا: مَا كَرِهْتُ شِدَّةَ الْمَوْتِ لِأَحَدٍ بَعْدَ الَّذِي رَأَيْتُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَكَرَاتُ الْمَوْتِ وَغَمَرَاتُ الْمَوْتِ أَمْرٌ عَظِيمٌ (وَجَاءَتْ سَكَرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ) [ق:19]، إِنَّهَا سَاعَةُ عَصِيبَةٍ، وَحَالَاتٌ حَرَجَةٌ، لَكِنْ (يُنَبِّئُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ).

يُسَنُّ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يُقَنَّ الْمُحْتَضِرَ عِنْدَ الْمَوْتِ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" بِرِفْقٍ؛ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَهَا آخِرَ مَا يَقُولُ؛ فَيُلَقِّنُهُ هَذِهِ الْكَلِمَةَ الْعَظِيمَةَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَهَا آخِرَ مَا يَقُولُ، ف"مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ مِنَ الدُّنْيَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ" وَالْمُسْلِمُ عِنْدَمَا يَنْزِلُ بِهِ الْمَوْتُ، وَيُعَايِنُ الْخُرُوجَ مِنَ الدُّنْيَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَى ثِقَةٍ بِرَبِّهِ، مُحْسِنًا الظَّنَّ بِرَبِّهِ، أَنَّهُ تَعَالَى لَنْ يُضَيِّعَ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا، وَأَنَّ أَعْمَالَهُ الصَّالِحَةَ الْخَالِصَةَ، مُدْخَرَةٌ عِنْدَ رَبِّهِ، أَحْوَجَ مَا يَكُونُ إِلَيْهَا، فِي الْحَدِيثِ: "لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِرَبِّهِ"، وَلَا يُحْسِنُ الظَّنَّ بِرَبِّهِ إِلَّا مَنْ كَانَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، مُخْلِصًا اللَّهُ فِي أَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ، مُحَاسِبًا نَفْسَهُ بِالدُّنْيَا قَبْلَ الْحِسَابِ يَوْمَ الْمَعَادِ"، قَالَ عِبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ"، قَالَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا يَكْرَهُ الْمَوْتَ، قَالَ: "لَا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا بُشِّرَ بِرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ وَجَنَّتْهُ، اسْتَأْتَقَ إِلَى اللَّهِ؛ فَحَبَّبَ لِقَاءَ اللَّهِ؛ فَحَبَّبَ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَغَيْرَ الْمُؤْمِنِ إِذَا بُشِّرَ بِمَالِهِ السَّيِّءِ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ؛ فَكْرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ"، فَالتَّوْبَةُ النَّصُوحَةُ مَطْلُوبَةٌ مِنَّا، وَالْمَوْتُ آتٍ وَلَا بُدَّ مِنْهُ، وَلَكِنْ عَلَى الْمُسْلِمِ الْإِسْتِعْدَادُ وَالتَّأَهُبُ لِذَلِكَ الْمَوْقِفِ الْعَظِيمِ، قَالَ جَل وَعَلَا: (وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذُّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي) [الفجر:23]، فَقدَّمُوا لأنفسكم أعمالًا صالحةً، وَأَخْلَصُوا لِلَّهِ فِي تَوْبَتِكُمْ، وَتَبَصَّرُوا فِي مَالِكُمْ، وَإِنهَا لِحَقَائِقُ لَا بُدَّ مِنْهَا، وَتُشَاهِدُونَ الرَّحِيلَ إِلَى اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ، كُلُّ مَنْ تَمَّ أَجْلُهُ رَحَلَ إِلَى الْبَرَزَخِ أَوَّلَ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، أَوَّلَ مَسَاكِينِ الْآخِرَةِ؛ فإِمَّا رَوْضَةٌ مِنَ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَإِمَّا حُفْرَةٌ مِنَ حُفَرِ النَّارِ.

نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُنَبِّتَنَا وَإِيَّاكُمْ عَلَى قَوْلِهِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، وَنُبَيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ؛ فَزُورُوهَا فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ [وفي لفظ]: فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْآخِرَةَ"، وَيَقُولُ: "أَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِ هَادِمِ اللَّذَاتِ"، فَمَنْ أَكْثَرَ التَّأَمُّلَ فِي الْمَصِيرِ وَالْمَالِ، دَعَاهُ إِلَى الْإِخْلَاصِ وَالْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ، وَالصَّبْرِ عَلَى الطَّاعَةِ، وَالصَّبْرِ عَنِ الْمَعَاصِي، وَالرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدْرِهِ.

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ، لِي وَلَكُمْ، وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ؛ فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتَوَبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، حمداً كثيراً، طيباً مباركاً فيه، كما يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، أَمَا بَعْدُ:

فيا أيُّها النَّاسُ، اتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى حَقَّ التَّقْوَى.

عِبَادَ اللَّهِ، سُنَّ لِلْمُسْلِمِ مُوَسَاةَ إِخْوَانِهِ الْمُصَابِينَ بِمُصِيبَةِ الْمَوْتِ، سُنَّ أَنْ يَشْهَدَ جَنَازَةَ الْمَيِّتِ، وَسُنَّ أَنْ يُشَارِكَ فِي دَفْنِهِ، وَيَتَّبِعَ جَنَازَتَهُ، وَيُشَارِكَ فِي دَفْنِهِ، وَيُوَاسِي أَهْلَهُ، وَيُعَمِّدَ جِرَاحَهُمْ، وَيُقَدِّمَ التَّعَاذِيرَ لَهُمْ، دَاعِيًا اللَّهَ لِمَيِّتِهِمْ بِالْمَغْفِرَةِ وَالرِّضْوَانِ، وَسَائِلًا لَهُمُ الصَّبْرَ وَالثَّبَاتَ، وَيَقُولُ: "أَحْسَنُ اللَّهُ عَزَائِكُمْ، وَجَبَرَ مُصِيبَتَكُمْ، وَغَفَرَ لِمَيِّتِكُمْ" هَذِهِ سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَالصَّلَاةُ عَلَى الْجَنَازَةِ، وَاتِّبَاعُهَا، وَتَعَزِيَةُ الْمُصَابِينَ، سُنَّةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خُلُقٌ كَرِيمٌ، يُقْوِي أَوَاصِرَ الْمَوَدَّةِ وَالْمَحَبَّةِ بَيْنَ الْمَجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُ، تعزية المصابين بالموت سنة، أن تقدّم التعازي إليهم، فندعو لميتهم وتستغفر له، وتسال الله لهم الصبر والثبات والسلوان، هذا أمر مشروع، ولكن يخطئ بعض الناس في أمر التعزية سواء كان من المعزين أو من يعزى، يخطئ الكثير في أمور كثيرة؛ فمنها ما يُنشر أحياناً في الصحف من التعازي، التي يؤخذ على الصفحة الواحدة عدّة آلاف بلا مقابل، فكافيك أن تعزيهم هاتفياً أو تزورهم، وأمّا هذه الدعايات، وهذه النشرات المكلفة المتعبة، فلو أنفقت فيما هو خير لكان هو خيراً وأولى سبيلاً.

وثانياً: أن بعض المصابين بالموت إذا رأوا مسكنهم صغيراً، قالوا هذا المكان لا نستقبل فيه المعزين، لا بد أن نستأجر استراحة، أو قصر أفرح أو فندقاً؛ لنستقبل المعزين فيه، أياماً، ونحو ذلك، وهذا يا أخواني، خطأ وخلاف الصواب، وإنفاق مال في غير محله، فالتعزية لأهل الميت في بيتهم، في المسجد، في الطريق، في بيتكم، وأمّا استئجار الأماكن، وجعلها مظاهر وتجمعات؛ فهذا خلاف المشروع، وتكلف أمر ما شرعه الله لنا، فمن أتاك عزاك في بيتك، أو في المسجد، أو في المقبرة كافٍ، ولا حاجة للاجتماع والبقاء، يعزى ويسلم وينصرف، وأمّا أن يقام احتفالات في فنادق، واستراحات، وقصور أفرح، وفنادق؛ لأجل التعزية؛ فهذا أمر خلاف المشروع، أو تجميع أموال لإنفاق أيام العزاء على المعزين، ووضع موائد الطعام لهم، يجتمع أقرباء الميت؛ فيدعون الآلاف لإقامة هذه الولائم؛ فهذا خلاف المشروع.

سُنَّ لأقرباء الميت أن يصنعوا طعاماً لأهل الميت في يومهم، لقوله صلى الله عليه وسلم: "اصنعوا لآل جعفر طعاماً؛ فقد أتاهم ما يشغلهم"، لكن هذه الحفلات المنظمة وإنفاق الأموال الكثيرة، لو أنها صرفت في تخفيف دين على الميت -إن كان له دين-، أو صرفت في الإنفاق على قصاره الصغار -إن كان هناك قاصرين-، كان ذلك أولى وأفضل من هذه المجارة والمراعاة، والأمور التي ما أنزل الله بها من سلطان، نسأل الله أن يثبتنا وإياكم على قوله الثابت في الحياة الدنيا، وفي الآخرة، وأن يصلح أقوالنا وأعمالنا، وأن يجعلها سائرة على وفق كتاب الله، وسنة محمد صلى الله عليه وسلم.

واعلموا رحمكم الله أن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بجماعة المسلمين، فإن يد الله على الجماعة؛ ومن شذّ شذ في النار، وصلوا رحمكم الله على عبد الله ورسوله محمد، إمتثالاً لأمر ربكم، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) [الأحزاب: ٥٦].

اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن خلفائه الراشدين، الأئمة المهديين، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر أصحاب نبيك أجمعين، وعن التابعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك، وكرمك، وجودك، وإحسانك، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين، وانصر عبادك الموحدين، واجعل اللهم هذا البلد آمناً مطمئناً، وسائر بلاد المسلمين، يا رب العالمين، اللهم آمناً في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمرنا، اللهم وفقهم لما فيه صلاح الإسلام والمسلمين، اللهم وفق إمامنا إمام المسلمين، عبد الله بن عبد العزيز لكل خير، اللهم أمدّه بعونك، وتوفيقك، وتأيدك، وكل له عوناً ونصيراً في كل ما أهداه، واجمع به كلمة الأمة على الخير والتقوى، اللهم شد عضده بولي عهده سلطان بن عبد العزيز، وبارك له في عمره وعمله، وأمدّه بالصحة والسلامة والعافية، ووفقه للصواب في أقواله وأعماله، اللهم وفق النائب الثاني، وأعنه على كل خير؛ إنك على كل شيء قدير، (ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف

رَجِيمٍ) [الأحزاب: ٥٦] (رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [الأعراف: 23]،
رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

عِبَادَ اللَّهِ، (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) [النحل: 90]، فاذكروا الله العظيم الجليلَ يذكركم، واشكروه علىٰ عمومِ
نعمه يزِدكم، وَلِذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ، والله يعلم ما تصنعون.